

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفحش والسب وبذاءة اللسان .

إنَّ من أخلاق المسلم وشيمه أنَّه يحفظ لسانه من الزلل ويصونه من المعصية , فلا ينطق إلاّ بخير, ولا يتلفظ إلاّ بصلاح وطاعة, يستحضر في كلّ لحظة قوله تعالى: { **ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد** } سورة ق. ويستحضر قوله تعالى { **وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنّ الشيطان ينزغ بينهم** } الإسراء.

ولكنك ترى معي كيف انتشرت بيننا آفات اللسان ومعاصي الكلام, وتعاضم في أوساط الناس السب والشتم وبذاءة اللسان, ولم يتورع الناس حتى من سب الله والدين لأتفه الأسباب, وكأنهم لا يحاسبون على ما يقولون, ولا يعذبون في النار بما ينطقون, وقد أخطأوا الفهم, وأسأوا التدبير, وهو عين التفريط والتقصير.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنّ سبب تعذيب الناس يوم القيامة هو ما تحصده ألسنتهم وتلوكة أفواههم من المعاصي والآثام.. فقال لمعاذ: " **كف عليك هذا فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ, وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلاّ حصائد ألسنتهم** " أخرجه الترمذي وابن ماجه

وقال في الحديث عن أبي هريرة: " **... وإنّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً, يهوي بها في جهنم** " أخرجه البخاري

" **من كف لسانه ستر الله عورته** " أخرجه الطبراني

وَزِنِ الكلام إذا نطقت ولا تكن ... ثرثرة في كل ناد تخطب

واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللسان ويُعطب.

- الفحش وسب الناس حرام وخبث ولؤم:

فهو مذموم ومنهي عنه لقول النبي صلى الله عليه وسلم " إياكم والفحش فإنّ الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش " أخرجه النسائي والحاكم وصححه ورواه ابن حبان وعن جابر بن سمرة قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي أمامي فقال صلى الله عليه وسلم: " **إنّ الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء, وإنّ أحسن الناس إسلاماً أحاسنهم أخلاقاً** " أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح .
كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله " **ليس المسلم بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بدئ** " أخرجه مسلم

فظاهرة السب والفحش ظاهرة غريبة عن أخلاق المسلمين ولا علاقة لها بسلوكهم اليومي , لأنَّ المسلم الحق هو من سلم المسلمون من لسانه ويده...
وقال الأحنف بن قيس : (ألا أخبركم بأدوا الداء : اللسان البذيء والخلق الدنيء).

- البذيء والمتفحش مذموم بين الناس لا يعاشر ولا يعامل:

فهو مرفوض عند العقلاء والأخيار, لا تصلح عشرته, ولا تستقيم صداقته, لأنه من قرناء السوء ورفقاء الشر, وهو مثل الجليس السوء الذي أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث : " **ومثل الجليس السوء كنافخ الكير إذا لم يحرق ثيابك وجدت منه رائحة كريهة** " .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال " **إنَّ من شرِّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتَّقاء فحشه** " البخاري ومسلم.

ما هو حد الفحش؟

جاء في الإحياء: [هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة, وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع (الجماع) وما يتعلق به, فإنَّ لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه, وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكتون عنها ويدأون عليها بالرموز والكناية, وقال ابن عباس: " **إنَّ الله حييٌّ كريم يعفو ويكنو, كنى باللمس عن الجماع** " , فالمسيس والمسّ والدخول كنايةات عن الوقاع وليست بفاحشة, وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعبير, وكل ما يستحي منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فاتّه فحش.]

- سبّ الآباء والأمهات:

بلغ بالبعض القبح والفحش إلى سب الوالدين وإهانتهم لأجل الدنيا الفانية (كالراتب الشهري, والمنحة, والسكن, وإرضاء الزوجة...) ومن يفعل ذلك فهو ملعون مطرود من رحمة الله تعالى, عليه أن يبادر للتوبة, فعن ابن عباس قال قال صلى الله عليه وسلم " **ملعون من سب والديه** " أخرجه أحمد بإسناد جيد..

وفي الحديث المتفق عليه " **من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه, قالوا: يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه** " .

- إذا اختلفت مع غيرك فلا تبدأ بالسب والشتم :

وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم " **المستبان ما قالوا فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم** " أخرجه مسلم.

- إذا سبّك أحدهم فلا ترد عليه فهو خير لك:

فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم من أحد الصحابة: يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني، هل عليّ من بأس أن أنتصر منه؟ فقال " المتسابان شيطانان يتعاويان ويتهارجان " أخرجه أبو داود.

- شرّ الناس من ترك اتّقاء فُحشه وبذاءته:

عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: " ائذنوا له، بنس أخو العشيرة، أو ابن العشيرة، فلما دخل، ألان له الكلام قلت: يا رسول الله قلت الذي قلت، ثم أنت له الكلام، قال : أي عائشة، إنّ شرّ الناس من تركه الناس – أو ودعه الناس – اتّقاء فُحشه " أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب...

- اللّعن من أخطر آفات اللسان:

وذلك أنّ اللعنة هي الطرد من رحمة الله، وهي طلب بموت الانسان على الكفر والعصيان، ولا يجوز لمسلم أن يطلب ذلك لأخيه المسلم، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى منع ذلك حتى في حق الكافر، لأنه يمكن أن يتوب، والفاسق يمكن أن يتوب، والمبتدع يمكن أن يتمسك بالسنة ويتقيد بالشرع، فكيف تطلب لهؤلاء اللعنة وتقطع عليهم سبيل التوبة وتغلق في وجوههم باب الرجوع...وكم من أناس كانوا يلعنون الفسقة والكفرة وقد صاروا من روادهم وكبارهم، نسأل الله تعالى الثبات...وإذا لم يكن الملعون أهلاً لهذه اللعنة فقد حارت على المتلفظ بها أي رجعت عليه " لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم "

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه قوله صلى الله عليه وسلم " إنّ اللّعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة " .

- لا تجوز اللعنة حتى للحيوان:

عن أنس رضي الله عنه أنّ رجلاً كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره، فقال صلى الله عليه وسلم: " يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون " أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد جيّد.

- والتكفير أخطر الآفات التي يقتربها اللسان :

وهو حرام حرمة غليظة، وقد انتشر في أوساط المسلمين وخاصة الشباب منهم، وقد وردت فيه أحاديث صحيحة متعددة منها قوله صلى الله عليه وسلم " تكفير المسلم كقتله " وقوله " إذا قال المسلم لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما " وقوله " من قال لأخيه يا كافر، فإن كان كما قال، وإلا حارت عليه " وفي رواية " رجعت عليه " .
وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنّ هذه الظاهرة ستنتشر في آخر الزمان في أحاديث علامات الساعة.

- أقوال العلماء فيمن سبّ الله والدين:

أجمع المسلمون أنّ من سب الله والدين وهو يعلم ما يقول فهو كافر, ومعظم الناس يعلمون ذلك, فيقول بعضهم قبل النطق بكلمة الكفر مع من أغضبه [لا تجعلني أكفر, لا تجعلني أكفر.] (وبالعامية ماتكفرنيش) ثم يبدأ في سبّ الله والدين ولعنه...
ذكر أصحاب الشافعي أنّ سبّ الله ردّة, فإذا تاب قبلت توبته, وهذا مذهب أبي حنيفة وقال أحمد في رواية عبد الله بن أحمد في رجل قال لرجل : يا بن كذا وكذا, ويقصد الله تعالى: هذا مرتدّ عن الإسلام تضرب عنقه ..
ويقول ابن تيمية رحمه الله: **إنّ سبّ الله أو سب رسول الله صلى الله عليه وسلم, كفر ظاهرا وباطنا, سواء كان السابّ يعتقد أنّ ذلك حرام, أو كان مستحلاً, أو كان ذاهلاً عن اعتقاده..**

قال ابن قدامة المقدسي: **من سبّ الله تعالى كُفراً, سواء كان مازحاً أو جاداً...**

- النهي عن سبّ الدهر:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **" قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم, يسبّ الدهر, وأنا الدهر, بيدي الأمر, أقلب الليل والنهار "** أخرجه البخاري
قال شراح الحديث [يسبّ الدهر: يقول إذا أصابه مكروه " بؤسا للدهر, وتباً له " , بيدي الأمر : الذي ينسبونه إلى الدهر] (اللؤلؤ والمرجان ص 369).

- إذا أردت أن تسلم من الخطأ باللسان فعليك بما يأتي:

يقول الماوردي في أدب الدنيا والدين : [واعلم أنّ للكلام شروطاً, لا يسلم المتكلم من الزلل إلاّ بها... وهي أربعة:
1 - **الشرط الأول:** أن يكون الكلام لداع يدعو إليه, إمّا في اجتلاب نفع, أو دفع ضرر .
2 - **الشرط الثاني:** أن يأتي به في موضعه, ويتوخى به إصابة فرصته .
3 - **الشرط الثالث:** أن يقتصر منه على قدر حاجته.
4 - **الشرط الرابع:** أن يتخيّر اللفظ الذي يتكلم به.

- آيات قرآنية في حفظ اللسان:

قال تعالى { يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا , يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما } الأحزاب 70 – 71
قال تعالى { ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد , إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد , ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد } ق 16 – 17 .
قال تعالى { يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون , يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أنّ الله هو الحق المبين } النور 24 – 25 .
قال تعالى { ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا } الحجرات 12 .
قال تعالى { واجعل لى لسان صدق في الآخرين } الشعراء 84 .

قال تعالى { والذين يؤذون المؤمنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً
مبيناً } الأحزاب 58 .
قال تعالى { قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو
معرضون } المؤمنون 1 – 3
قال تعالى { وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا
نبتغي الجاهلين } القصص 55.

إعداد : المجلس العلمي لمسجد الأمير عبد القادر